أثر اللهجات غير الشَّائعة في توجيه بعض الأفعال في القراءات القرآنية

سهير سيِّد الخليل يوسف[°•]

المستخلص:

هدفت الدِّراسة إلى بيان أثر تجاهل النُّحاة للُّغات غير الشَّائعة التي جاءت بها بعض القراءات القرآنية في بعض الأفعال؛ الأمر الذي أدى ذلك إلى اتهام القرّاء باللحن، كما أدى إلى توجيه القراءات بحسب ما وضعوه من قياس وما تجاهلوه من لهجات. لقد تجاهل النُّحاة لهجات بعض القبائل العربية، وأخذوا ببعضها، وسمّوا تلك التي لم يأخذوا عنها باللغات الشاذة، ولجأوا إلى تأويل القراءات التي خالفت قواعدهم ورموها بالشذوذ والخطأ مما أدى إلى الاضطراب وتعدد الآراء. تأتي أهمية الدِّراسة من استعراض بعض القراءات التي لم يوثقها النُّحاة، ولم يعتدوا بلغاتها، وعزوا ما جاءت به هذه القراءات من مخالفات لقواعدهم؛ إلى الضرورة، وذلك بسبب وضع النُّحاة لقواعدهم على قياس ناقص وقاصر لم يشتمل على جميع اللهجات العربية، وخاصة التي جاءت بها القراءات القرآنية، لهذا كان الاضطراب والتَّعدد في المسألة الواحدة، وما أيسر لو وضعت القاعدة على ما قيل وسُمع! . كذلك من أثر تجاهل النُّحاة للهجات بعض القبائل التي جاءت بها القراءات القرآنية؛ التَّأويل والتَّخريجات البعيدة مع وجود ظواهر لغوية بنيت على أساس اجتماعي واقعي.

اتبعت الدِّراسة المنهج الوصفي الاستقرائي.

توصي الدِّراسة بالاهتمام باللهجات و القراءات وخاصة الشَّاذة منها، فالقراءات الشّاذة ما هي إلا وجه من وجوه اللهجات العربية التي لم تأخذ حظها من الدِّراسة، وأنّ هذا المجال ما زال ينتظر المزيد من الدّراسة والبحث.

° جامعة الباحة – كلية العلوم والآداب بالمخواة – المملكة العربية السعودية

Abstract

This study aimed at showing the impact of grammarians disregarding for uncommon languages by which some readings of holy Quran has come in some verbs ,this led the readers to make some mistakes , and direct the readings according to the rules they put , and to the languages that they disregarded.

The grammarians disregarded the languages of some Arab tribes and took others ,and named the ones that disregarded , odd languages and described them as odd and wrong languages , this led to a variety of opinions.

The importance of this study comes of reviewing some readings not documented by grammarians , , and this because grammarians put their rules without including all languages of all Arab tribes, especially that by which came holy Quran readings , this led to many opinions in one grammatical problem , it is easy if they put their rules on what was said and heard.

Also the impact of the grammarians disregarding for the languages of some Arab tribes by which holy Quran readings came, the interpretation that deeply sunken in philosophy and fiction .

The study followed the descriptive inductive method. The study recommends to pay attention to the dialects and readings, especially the abnormal ones. So that the abnormal readings are one of the dialects of the Arabic language, which did not take their time to study and this field is still awaiting further study and research.

مقدمة:

صلة النَّحو العربيِّ بالقرآن الكريم وقراءاته، قديمة قدم هذا العلم؛ فقد وُضع علم النَّحو لخدمة هذا الكتاب العزيز، وكانت البداية بنقط المصحف وضبط أواخر الكلمات في الآيات القرآنية؛ فخرج هذا العلم ثابت الأصول ممتد الفروع، ويعدُّ القرآن الكريم هو الأصل[1] الأول من أصول النَّحو، وكان المنهج في وضع

1 / انظر: عبد الرحمن السيد، 1388هـ-1968م، مدرسة البصرة نشأتها وتطورها، دار المعارف مصر، ط1، ص228،229.

هذا العلم – في بادئ الأمر – يقوم على ما سُمع عن العرب المقطوع بعراقتهم في العروبة، الذين لم يتسرب الوهن إلى ألسنتهم.

اعتمد الخليل بن أحمد في وضع قواعده على نبعين هما: النقل عن القُرّاء للذكر الحكيم، والأخذ عن أفواه العرب الخُلَّص الذين يوثق بفصاحتهم، وجاء كتاب سيبويه؛ فكان مصدر غير مباشر عن العرب بما اشتمل عليه من أقوال وأشعار للعرب، ولهجات لتلك القبائل وما جُمع من بواديهم، فصارت مصادر النَّقل من القُرّاء والعرب الذين يوثق بفصاحتهم، وما جاء شاذاً كان يصفه بالضعف، أو القبح، أو الغلط. يقول سيبويه: (وأعلم أنَّ ناساً من العرب يغلطون فيقولون: إنهم أجمعون ذاهبون وإنك وزيداً ذاهبان)[1]، وقد كان ذلك؛ لأنه لم يراع انصهاراً لهذه اللهجات وخروج لغة نموذجية تمثل لغة الخطابة، أو لغة فصحى، فقد اعتمد في سماعه على الأخذ عن بعض القبائل مثل قريش و ثقيف وكنانة وبني أسد وتميم وغطفان وترك ما عداها[2].

كان لتجاهل النُّحاة للهجات بعض القبائل العربية، وأخذهم ببعضها؛ أثر في توجيه القراءات القرآنية، ورميها بالشذوذ والخطأ، ومن هنا تأتي أهمية الدِّراسة حيث الوقوف على اللهجات، وصلتها بالقراءات القرآنية حتى نتبيّن حقيقة ما سمّاه النُّحاة بقراءات شاذة أو خاطئة. وسوف نستعرض بعض القراءات التي اشتملت على بعض الأفعال، والتي لم يوثقها النُّحاة ولم يعتدوا بلغاتها، واتهموها بالمخالفة لكلام العرب، وبُعْدها عن فصاحته وعزوا ما جاء من هذه اللهجات التي لم يأخذوا بها؛ إلى الضَّرورة؛ وذلك بسبب تجاهلهم لتلك اللهجات.

---

1 / انظر: سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، 1977م الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط 2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1 / 290، وطبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1420هـ، 1999م.

2 / انظر: جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة، ط حلب، 1 / 211

وقد توصلت الدّراسة إلى النتائج التَّالية:

– أنّ النّحاة اعتمدوا في اتهامهم للقرّاء، وفي توجيههم للقراءات؛ على ما وضعوه من قواعد قامت على أسسهم التي وضعوها من قياس وعلل وعوامل.

– أنّ قضية اللهجات لها دور بارز في هذا التّوجيه؛ حيث وضع النُّحاة قواعدهم على قياس ناقص لم يشتمل على جميع اللهجات العربية خاصةً تلك التي جاءت بها القراءات القرآنية، فلم تحدد اللغة النَّموذجية بعد المسح الشَّامل والإحصاء الدقيق لجميع اللهجات.

– أنَّ إقحام اللهجات العربية بصفاتها وخصائصها المتباينة أدى إلى تفريع المسائل وتشعُّبها.

– من آثار إقحام اللهجات العربية التَّضارب في الآراء، والتَّناقض والافتراض، مع وجود هذه الظواهر اللغوية التي هي أسمى الصور الأدبية التي عرفتها العربية، بما احتوته من جمالٍ ووضوحٍ وصورٍ بلاغية هي أساس المعنى.

– سبب شذوذ تلك القراءات؛ هو النُّحاة وليس القراء، لأن القراءة ضابطها السَّماع ولا تخضع لمقاييس النحو.

– تجاهل النُّحاة لكثير من اللهجات العربية؛ أدى إلى التأويل والتّخريجات البعيدة الغارقة في الفلسفة والخيال و رمي بعض القراءات بالشُّذوذ.

المبحث الأوَّل

إلحاق الفعل علامة التَّأنيث وعلامتي التَّثنية والجمع

تكلمت العرب بإثبات تاء التأنيث للفعل وبغيرها، كما أثبتت علامتي التَّثنية والجمع له، وقد جاءت قراءات تدلل على ذلك، منها قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾[1]. قرأ ابن مسعود وعبد الله بن عمر ﴿ إذ قال الملائكةُ ﴾[2] من غير تاء التأنيث وقرأ غيرهم بتأنيث الفعل ﴿ إذ قالت الملائكة ﴾ جاء الفعل قبل الملائكة مؤنثاً ومذكراً قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَاب الْحَرِيقِ ﴾[3].

قرأ ابن عامر بالتاء على التأنيث (تتوفى)، وقرأ الباقون بالياء على التذكير (يتوفى)[4]؛ وذلك لكون الفاعل مجازي التأنيث وللفصل بين الفعل والفاعل بقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَفَرواْ ﴾ ولذلك كان أكثر القُرّاء على التّذكير، و جاءت قراءة[5]

---

1 / سورة آل عمران الآية (45).

2 / انظر: أثير الدين أبي عبد الله بن حيّان الأندلسي، 1328هـ، البحر المحيط، طبعة السعادة القاهرة، 2 / 455.

3 / سورة الأنفال الآية (50).

4 / انظر: الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الجزري، د. ت النشر في القراءات العشر، ط المكتبة التجارية الكبرى 2/ 277. والبحر المحيط 4/ 506، و أحمد بن محمد البنا الدمياطي، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، 1407هـ - 1987م إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، القاهرة، ط1، نشر عالم الكتب، بيروت، ومكتبة الكليات الأزهرية، ص81، أبي البقاء بن الحسين بن عبد الله العكبري، 1399هـ - 1979م إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراء آت في جمع القرآن، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1 8/2

5 / انظر: البحر المحيط 2 /446، 5 /299 - 300، 6 / 433، والإملاء للعكبري 1 / 133، وتفسير الطبري ص 362.

لقوله تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾[1]، قال أبو جعفر: اختلفت القرّاء في قراءة ذلك،

فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة وبعضُ أهل الكوفة والبصرة: " فنادته الملائكة " على التأنيث بالتاء، يراد بها: جمع " الملائكة "، وكذلك تفعل العرب في جماعة الذّكور إذا تقدّمت أفعالها، أنَّثت أفعالها، ولا سيما الأسماء التي في ألفاظها التأنيث، كقولهم: جاءَت الطَّلحات ". وقد قرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة بالياء[2]، بمعنى فناداه جبريل، فذكروه للتأويل، أي أنهم يُؤنثون فعل الذّكر للفظ، فكذلك يذكِّرون فعلَ المؤنث أيضاً للفظ وهنالك الكثير من الأمثلة التي جاء بها القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿ فمن جاءه موعظة من ربه ﴾[3]، فـ (الموعظة) مؤنث، وجاء الفعل بصيغة التذكير، ومنه قوله سبحانه: ﴿ لنحيي به بلدة ميتا ﴾[4]، فـ (بلدة) لفظ مؤنث، وجاء وصفها بصيغة التذكير، ومنه قوله عز وجل: ﴿ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي ﴾[5]، فـ (الشمس) لفظ مؤنث، وجاء اسم الإشارة (هذا) مذكراً، ومن هذا القبيل قوله عز وجل: ﴿ كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره ﴾[6]، فـ (التذكرة) مؤنث، وعاد الضمير عليه مذكراً، و قوله عز وجل: ﴿ وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى

---

6 / سورة آل عمران الآية (39).

2 / يعني قراءة من قرأ "فناداه" ممالة، ورسمها في المصحف عندئذ "فناديه" بالياء، وهي قراء حمزة والكسائي.

3 / سورة البقرة الآية (275).

4 / سورة الفرقان الآية (45).

5 / سورة الأنعام الآية (78).

6 / سورة عبس الآية (11 –12).

والمساكين فارزقوهم منه ﴾[1]، فـ (القسمة) مؤنث، وعاد الضمير (منه) عليه بصيغة التذكير، قوله عز وجل: ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه ﴾[2]، فـ (الأنعام) لفظ مؤنث، وعاد عليه الضمير (بطونه) بلفظ التذكير، قوله تبارك وتعالى: ﴿ وما يدريك لعل الساعة قريب ﴾[3]، لفظ (الساعة) مؤنث، وجاء الخبر عنها (قريب) مذكر، قوله تعالى: ﴿ وما كانت أمك بغيا ﴾[4]، جاء الخبر بصيغة التذكير (بغيا)، والمبتدأ (أمك) لفظه التأنيث قوله سبحانه: ﴿ قال من يحيي العظام وهي رميم ﴾[5]، فلفظ (العظام) مؤنث، وجاء الإخبار عنه بصيغة المذكر (رميم) قوله عز وجل: ﴿ الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾[6]، لفظ (الفردوس) مذكر، وجاء الضمير العائد عليه (فيها) بلفظ التأنيث، واعتبروا ذلك بقراءةٍ يذكر أنها قراءَةُ عبد الله بن مسعود، (فناداه) و ذلك بجواز إلحاق العلامة وتركها في جمع التكسير، وإلحاق العلامة قيل أحسن (فنادته) و (قالت) و قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[7] (نسوة) جمع تكسير يجوز ألا تلحق التاء إذ تقول قامت الهنود وقام الهنود[8]، حيث جاء الفعل (قام) بالتاء وبغيرها جوازاً لعدم وجود فاصل، وجاءت قراءة لقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاء

---

1 / سورة النساء آية (8)

2 / سورة النحل الآية (66)

3 / سورة الشورى الآية (17)

4 / سورة مريم الآية (28)

5 / سورة يس الآية (78)

6 / سورة المؤمنون الآية (11)

11 / سورة يوسف الآية (30).

12 / انظر: تفسير البحر المحيط – ج 5 – ص 299، التوبة – النحل

إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[1] بالتاء (ولم تكن) وقرأ الجمهور بالياء وهي الفصيحة، لأنه إذا كان العامل مفرغاً لما بعد (إلا) وهو مؤنث فالفصيح أن يقول: ما قامَ إلا هندُ وأمّا ما قامت إلاّ هندُ فأكثر البصريون يخصه بالضرورة، وبعض النحويين يجيزه في الكلام على قلة- الكوفيون وأبو علي الفارسي- ونلاحظ أن رأي البصريين[2] يقول بجواز الوجهين أي أنه يجوز في كل فعل أسند إلي اسم الجمع مثل: (قوم، رهط، ونسوة)، أو اسم الجنس الجمعي نحو: (روم، و زنج، وكَلِم)[3]، وجمع التكسير المذكر نحو: (رجال، و زيود)، وجمع التكسير لمؤنث نحو (هنود، و ضوارب)، وجمع المذكر السالم نحو (الزيدين، المؤمنين، والبنين)، وجمع المؤنث السالم نحو: (الهندات، المؤمنات، والبنات)، أن يؤتى بالفعل مؤنثاً أو يؤتى به مذكراً وذلك في أربعة منها هي: (اسم الجمع، واسم الجنس،الجمعي، وجمع التكسير المذكر، وجمع التكسير المؤنث) أمّا جمع المذكر السَّالم فلا يجوز في فعله إلا التذكير، وأمّا جمع المؤنث السالم فلا يجوز في فعله إلا التأنيث[4] . حكى سيبويه[5] (قال فلانة) بحذف

1 / سورة النور الآية (6).

2 / انظر: شرح ابن عقيل ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل،عبد الله بن عقيل العقيلي بهاء الدين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث – دار مصر للطباعة، 1400 – 1980 ومعه منحة الجليل بشرح ابن عقيل، (72/2، 73).

3 / انظر: هامش شرح ابن عقيل – ابن عقيل الهمداني – ج ١ – الصفحة ٤٨٢.

4 / انظر: القاضي بهاء الدين عبد الله بن عقيل، 1414هـ - 1993م، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد 1 / 437 الدار السودانية للكتب وطبعة المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1421هـ - 2000م.

5 / انظر: سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، 1977م الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط 2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1 / 239، 240 وطبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1420هـ،1999م.

التاء الفعل المسند إلى مؤنث حقيقي من غير فصل وهو قليل جداً وقد تحذف التاء من الفعل المسند إلى ضمير المؤنث المجازي وهو مخصوص بالشعر. ولنا أن نلاحظ عبارة (قليل جداً) حيث لا ندري ما هي معايير القلة عندهم؟ وقد تكلمت العرب بإثبات تاء التأنيث للفعل، وبغيرها، كما جاءت قراءات قرآنية توافق ذلك، و إن دلّ هذا على شيء؛ إنّما يدلّ على وجود لهجات بذلك فلماذا يُخصص هذا الأمر بالشعر أو يُعزى لضرورته؟. جاء في قول ذي الرُّمة غيلان بن عقبة:

طوى النَّحْزُ والأجرازُ ما في غروضها *** وما بقيت إلا الضلوعُ الجراشعُ[1]

الشاهد: (فما بقيت إلا الضلوع) حيث أدخل تاء التأنيث على الفعل لأن فاعله مؤنثة مع كونه قد فصل بين الفعل وفاعله بإلّا وذلك عند الجمهور؛ مما لا يجوز في غير الشعر، وقال عامر بن جوين الطائي:

فلا مُزنةٌ ودقَتْ ودْقَـهَا *** ولا أرْضَ أبقلَ إبقالَهَا[2]

---

1 / انظر: ديوان ذي الرمة، ص 1273. شرح المفصل، 2 / 122، 5 / 17، و شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت: 769هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث، القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه

ط: العشرون 1400 هـ - 1980 م، النَّحْزُ: الدفع والسوق الشديد، الأجراز: جمع جرز وهو الأرض اليابس، غروضها: جمع غرض وهو للرحل بمنزلة الحزام للسرج، الجراشع : جمع جرشع وهو المنتفخ.

2 / انظر: الكتاب 2 / 42. و خالد الأزهري، (د. ت) شرح التصريح، دار الفكر، القاهرة ص 278 و مطبعة مصطفى محمد، 1358هـ، و عبد القادر بن عمر البغدادي، 1409هـ - 1989م، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 45،49، 50 .

الشاهد: (ولا أرض أبقل) حيث حذفت تاء التأنيث من الفعل المسند إلى ضمير المؤنث والفعل هو (أبقل) وهو مسند إلى ضمير مستتر يعود إلى الأرض وهي مؤنثة مجازية التأنيث ورُوي هذا البيت: ولا أرضَ ابقلت إبقالها، وهنا لا شاهد فيه. والملاحظ لهذه الشواهد يدرك أنّ العرب تكلمت بإثبات التاء وبحذفها وقد جاء القرآن موافقاً ذلك[1]، كما جاءت شواهد من أقوال العرب وأشعارهم في كتب النحو تتحدث عن تأنيث الفعل وتذكيره وتثنيته

وجمعه وإفراده يقول سيبويه: (وأعلم أنَّ من العرب من يقول: ضربوني قومك وضرباني أخواك وكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث... ومن قال أكلوني البراغيث...)[2].

يقول شاعر طيئ عمرو بن ملقط الطائي:

ألفيتا عيناك عند القفا *** أولى لك أولى ذا واقيه[3]

الشاهد: (ألفيتا عيناك) بدلاً من ألفيت عيناك، ويقول أُمية بن أبي الصَّلت:

يلومونني في اشتراء ***النَّخيل أهلي فكلهم يعذل[4]

---

3 / انظر: البحر المحيط 2 / 455.

4 / انظر: سيبويه، (د. ت) ، الكتاب، 1 / 237 ط بولاق، و ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 3 / 87.

5 / انظر: أبي عبد الله بن هشام الأنصاري، (د. ت) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق ممد محي الدين عبد الحميد، نشر المكتبة التجارية الكبرى، ص 113، ومن شواهد المفصل لابن يعيش، مبحث المضمرات، ص 87 وما بعدها.

1 / انظر: ديوان أُمية بن أبي الصَّلت، 1934م، ط1، بيروت، جمعه بشير يمّوت ص 16، وشرح المفصل لابن يعيش، ص 87.

الشاهد: (يلومونني) اتصلت الواو الدالة على الجمع بالفعل مع كون الفاعل اسماً ظاهراً، وبدلاً عنها (يلومني أهلي) وقد جاءت في الكشاف (فكلهم ألوم)[1]

وقول عبد الرحمن العتبي: رأينَ الغواني الشيبَ لاح بعارضي *** فأعرضن عني بالخدود النواضر[2]

وقول عبد الله بن قيس الرقيات: تولى قتال المارقين بنفسه *** وقد أسلماه مبعدٌ وحميم[3]

كما وردت بعض آيات القرآن الكريم تحمل في ظاهرها وتشير إلى هذه اللغة قال تعالى: ﴿ وَحَسِبُواْ أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ اللّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾[4]. وكذلك قوله تعالى: ﴿ لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾[5]. ففي الآية الأولى كلمة (كثير) وفي الآية الثانية جملة (الذين ظلموا) أسماء ظاهرة تعرب فاعلاً، وقد خرَّج جمهور النُّحاة والمفسرون الآيتين على اللغة المشهورة التي عليها جمهور العرب فيعربون (كثير) على أنه بدل من الواو أي واو الجماعة في (عموا وصموا) أو يضمرون فعلاً آخراً ارتفع به الاسم الظاهر والتقدير: عمى وصم كثير منهم، أو كثير خبر لمبتدأ محذوف والتقدير العمى

2 / انظر: جاد الله أبو القاسم الزمخشري، (د. ت)، الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، نشر الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع 1/ 663.

3 / البيت من شواهد شرح ابن عقيل، ص 426.

4 / انظر: ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، 1986م 2/ 35 / 196، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، والحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (د. ت)، همع الهوامع، دار المعرفة بيروت، لبنان 160/1 وشرح التصريح 1/ 277

5 / سورة المائدة الآية (71).

6 / سورة الأنبياء الآية (3).

والصم كثير منهم[1]، وإعراب كثير على أنها بدل قال به سيبويه ويونس. و قال المبرِّد في قوله تعالى: ﴿ الذين ظلموا ﴾: أنها بدل من الواو في: (أسروا) وهي مثل قولنا: إنّ الذين في الدَّارِ انطلقوا بنو عبد الله، (فبنو) بدل من الواو في انطلقوا أو يكون إعراب (الذين ظلموا) خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: هم الذين ظلموا، أو مبتدأ وما سبقه خبر (الذين ظلموا) وهو (وأسروا النجوى) أو منصوباً بفعل محذوف أي أعيِّن الذين ظلموا. وأعرب الأخفش (الذين ظلموا) : فاعلاً والواو علامة للجمع على لغة أكلوني البراغيث وقال الزجّاج بالنصب على الذم أو إضمار أعني[2]، وكما سمى النُّحاة هذه اللغة بلغة (أكلوني البراغيث) – هي لغة بني الحارث بن كعب أو بلحارث وطيء وأزد شنوءة من قبائل العرب – فقد سماها ابن مالك بلغة: (يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكة بالنهار)[3] وهو اسم مأخوذ من حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم – حيث لم يقل (يتعاقب) وقال (يتعاقبون).

وقال تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾[4] قرأ حمزة و الكسائي وخلف (إما يبلغان) بألف التثنية ونون التوكيد فقيل الألف

---

7 / انظر: الكتاب، 1 / 236.و القرطبي، 6 / 248.

1 / انظر: مغني اللبيب، ص 405. والبحر المحيط 6 / 296، 297. والإملاء للعكبري 2 / 130. و لأبي اسحق الزجاج، 1408هـ ـ 1988م، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 2 / 215.

2 / انظر: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري،1414هـ .1993م، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير،دمشق- بيروت اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 5، الحديث في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر 139/1، ورواه الشيخان والنسائي، ومالك بن أنس، الموطأ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعارف، ط 5، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك، (د. ت)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، 2 /48، وابن منظور أبو الفضل بن مكرم، 1388هـ ـ 1968م، لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان 4 /397.

1/ سورة الإسراء الآية (23).

علامة تثنية لا ضمير، على لغة (أكلوني البراغيث) و(أحدهما) فاعل و(أوكلاهما) عطف عليه[1]. وخلاصة الأمر أنّ في مسألة إفراد الفعل إذا كان فاعله مثنى أو جمعاً لغتين:

1 / اللغة المشهورة للعرب[2]: أن يبقى الفعل مجرداً من علامتي التثنية، والجمع، ولو كان فاعله مثنى أو مجموعاً كما لو كان مفرداً تماماً، مثال: قام الزيدان، قام الزيدون، قامتْ الهنداتُ.

2 / لغة بعض القبائل العربية أمثال طيء وبني الحارث بن كعب و أزد شنوءة كانت تلحق الفعل، إذا كان فاعله ظاهراً مثنى أو جمعاً، علامة التثنية وعلامة الجمع فيقولون: قامَا أخواك، وقاموا إخوتك، وقمن نسوتك، وتعد علامات لا محل لها من الإعراب مشبهين لها بتاء التأنيث، فإذا وُجدت علامة تثنية أو جمع في الفعل فإن الجمهور يخرجون ذلك على وجهين:

1 / أنّ الجملة المتقدمة من الفعل و الفاعل خبر مقدم والاسم المرفوع بعدها مبتدأ مؤخر مثال: قاما الزيدان، الإعراب: قاما: فعل ماضي مبني على الفتح الظاهر وألف الاثنين ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل، وجملة (قاما) في محل رفع خبر مقدم، الزيدان: مبتدأ مؤخر مرفوع.

2 / أنّ العلامات المتصلة بالفعل هي ضمائر في محل رفع فاعل والاسم المرفوع بعدها بدل.

---

2 / انظر: البحر المحيط 6 /26، 27، والاتحاف 282 .

3 / انظر: شرح الأشموني 48/2. وهمع الهوامع 160/1، وشرح ابن عقيل ج1، ص 425.

المبحث الثَّاني

أسلوب التَّعجب

إنَّ صلة أسلوب التَّعجب بالمعنى، صلة مباشرة، حيث أنَّه لا يمكن تفسير جزيئاته إلَّا على ضوء هذا المعنى، وكذلك تفسير الآيات التي جاءت على صيغ التعجب فنجد أنَّ الخطاب مصروفاً إلى المخاطب، بمعنى ينبغي لك أيها المخاطب أنْ تعجب من حالهم مثلما جاء في قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾[1]، فـ (ما) في موضع رفع، والكلام تعجب، عجَّب الله به المؤمنين، وأصبر فعل فيه ضمير الفاعل، وهو العائد على (ما)؛ ويجوز أن تكون (ما) استفهاماً وحكمها في الإعراب كحكمها إذا كانت تعجباً، وهي نكرة غير موصوفة تامة بنفسها؛ وقيل هي نفي: أي فما أصبرهم الله على النار[2]. قال القرطبي[3]: (مذهب الجمهور منهم الحسن ومجاهد أنَّ (ما) معناها التعجب، وهو مردود إلى المخلوقين، مثل أعجبوا من صبرهم على النار ومكثهم فيها، وفي التنزيل جاء قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾[4] و﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[5]. ومن صيغ التعجب التي وردت في كتاب الله قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾[6]. أي أوقع أيها المخاطب إبصاراً بأمر

---

1 / سورة البقرة (175).

2 / انظر: الإملاء، للعكبري، 1 / 77.

3 / انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي 2 / 336

4 / سورة عبس الآية (17).

5 / سورة مريم الآية (38).

6 / سورة الكهف الآية (26).

الكهف فهو أمر حقيقة كما حُكي عن الزجاج[1]. وقد تكلم في صيغة التعجب، في الآيتين من سورتي الكهف و مريم، الأخفش في كتابه (معاني القرآن)، والفرّاء في كتابه (معاني القرآن)، وأبو جعفر النَّحاس في كتابه (إعراب القرآن)، وغيرهم. يقول الأخفش: (أي ما أبصره وأسمعه!) كما تقول أكرمْ به!، أي ما أكرمَه! وذلك أن العرب تقول: (يا أمةَ اللهِ أكرمْ بزيدٍ) فهذا معنى: ما أكرمه! ولو كان يأمرها أنْ تفعل لقال: أكرمي زيداً)[2]، ويقول الفرّاء: (وقوله: ﴿ أبصر به وأسمع ﴾ يريد الله تبارك وتعالى لقوله في الكلام أكرمْ بعبد الله ومعناه: ما أكرمَ عبد الله! وكذلك قوله: ﴿ أسمع بهم وأبصر ﴾: ما أسمعهم وأبصرهم[3] ويقول النَّحاس: (أبصر به وأسمع حذف منه الإعراب لأنه على لفظ الأمر وهو بمعنى التعجب، أي ما أسمعه وأبصره)[4]. معنى هذا أنهم جميعاً قد اتفقوا على أنَّ هذه صيغة تعجب جاءت على صورة الأمر لإفادة التعجب، وقد تحدثت العرب بذلك بمعنى التعجب ولم يراد الأمر. (أسمع بهم وأبصر): مبني على السكون لأن لفظه لفظ الأمر، ومعناه وأعنى التعجب، ما أسمعهم وما وأبصرهم)[5]، وقد أشار هنا إلى حذف المتعجب منه (ما أسمعهم، ما أبصرهم) ويكون ذلك إذا كان هنالك دليل يوضح المحذوف، قال الرضي: (وإذا عُلم المتعجب منه جاز حذفه نحو لقيت

---

7 / انظر: الإملاء، للعكبري، 2 / 101، 114.

1 / انظر: الأ خفش الأوسط، 1405هـ ـ 1985م، معاني القرآن، تحقيق عيد الأمير محمد أمين، ط 1، 2 / 395.

2 / انظر: الفرَّاء أبو زكريا يحي بن زياد، (د. ت)، معاني القرآن 2 / 139، تحقيق محمد علي النجار وآخرون، دار السرور بيروت، لبنان.

3 / انظر: النحاس، 1405هـ ـ 1985م، إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي زاهد، ط2،. عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، بيروت، 2 / 222،.

4 / انظر: إعراب القرآن، للنحاس 2 / 316، المرجع السابق.

زيداً وما أحسنَ! قال تعالى: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ فلفظ (بهم) إنما جاز حذفه عند الفراء لكونه مفعولاً، وأما عند سيبويه،فإنه وإن كان فاعلاً، والفاعل لا يجوز حذفه إلا أنه بملازمته الجر، ويكون الفعل قبله في صورة ما فاعله مضمر والجار والمجرور بعده مفعوله أشبه الفضلة، فجاز حذفه)[1]. ومن شواهد حذف المتعجب منه قول أمرئ القيس: أرى أمَّ عَمْرٍو دَمْعُهَا قد تَّحدّرا *** بكاءً على عمرٍو وما كان أصبرا[2]!

والتقدير: وما كان أصبرها! فحذف المتعجب منه، وهو الضمير (المفعول به) لأن هناك ما يدل عليه وهذا في الصيغة الأولى للتعجب (ما أفعل) والشاهد على الصيغة الثانية (أفعل به) قوله تعالى: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾، أي أبصر بهم، وحذف لدلالة ما قبله عليه. ومن الملاحظ أنَّ قضية التعجب تعتمد على المعنى في كل جزيئات التعجب من صيغة الأمر أو فعل الماضي الذي يأتي في صورة الأمر ليفيد التعجب مروراً بحذف المتعجب منه وكون المفعول به هو فاعل في الأصل لأن معنى ما أحسنَ زيداً! معناه حَسُنَ زيدٌ، كما جاء دليلاً على المعنى وحُكي ما أصبحَ أبْرَدَها! وما أمسي أدفأهَا[3] كما أنه يحذف المتعجب منه من غير

---

5 / انظر: الكتاب، لسيبويه 1 / 410، 2 / 250. وشرح المفصل لابن يعيش 7 / 148. و شرح الرضي لكافية ابن الحاجب،1414هـ ـ 1993م، تحقيق حسن الحفظي ويحي مصري إدارة الثقافة والنشر جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض، ط 1، 2 / 289. و أبي البركات عبد الرحمن الأنباري، 1414هـ ـ 1993م، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، نشر المكتبة العصرية، بيروت، لبنان 1 / 81، 92، وطبعة المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ودار إحياء التراث العربي (د. ت).

6 / هذا البيت من شواهد شرح ابن عقيل 2 / 151، شاهد رقم (269).

1 / انظر: المفصل، للزمخشري، ص .277

دليل وقد قيل عنه يأتي ذلك شذوذاً[1]. قال عروة بن الورد: فذلك أنْ يَلْقَ المنيةَ يلقها حميداً، وإنْ يستغثِ يوماً فأجدرِ[2]!

الشاهد: فأجدر! أي أجدرْ به حذف المتعجب منه دون دليل، ولكن المعنى مفهوم ولا يحتاج إلى دليل قبله ولا داعي أنْ نحكم عليه بالشذوذ. وفي مثل (أكرمْ بزيد) فقد قدّر الزجاج[3] أنها في موضع نصب والتقدير أكرمْ زيداً فهذا تقدير وذاك تأويل وهذه لغات شاذة، فلو حصر النُّحاة عملهم في وصف ظاهرة التعجب واهتموا بما دلت عليه من معنى وقالوا هكذا (نطقت العرب) خاصة وأنَّ هناك شواهد دلت على هذه الصيغ؛ لاكتفوا بذلك ولكن بسبب عدم أخذهم من جميع القبائل فقد رموا لغاتها بالشذوذ، كما أدى عدم الأخذ بتلك اللغات من تلك القبائل إلى تعدد الآراء في مسألة التعجب وغيرها من المسائل النحوية، فكان الخلاف حتى بين أفراد الطائفة الواحدة كما نجده في مدرسة البصرة والمثال على ذلك: (ما كان عليه أبو الحسن الأخفش إذ كان معدوداً من أعمدة المذهب البصري ولكنه كثيراً ما خرج على اجتهاداتهم وانفرد برأي خاص به، من ذلك أنّه جوّز أن تكون (ما) التّعجبية موصولة أو، موصوفة، نحو ما أحسن زيداً المعنى شيء حسَّن زيداً، جزم بذلك جميع البصريين إلا الأخفش، فجوزه وجوَّز أن تكون معرفة موصولة والجملة بعدها صلة لا محل لها، وأن تكون نكرة موصوفة

2 / انظر: شرح ابن عقيل، 2/ 151 وما بعدها .

3 / من شواهد شرح ابن عقيل 2 / 152، شاهد رقم (270).

4 / انظر: اللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء العكبري، 1 / 203، تحقيق غازي طلبمات، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دُبي ط 1، 1416هـ . 1995م.

والجملة بعدها في موضع رفع)[1]. كما كان الخلاف حول صيغة (أَفْعَلَ) في أسلوب التعجب، هل هي اسم أم فعل[2] وهذا خلاف بين المذهبين البصري والكوفي، فذهب الكوفيون إلى أنَّ أفعل في (أفعل) في التعجب اسم وذهب البصريون إلى أنها فعل والدليل دخول نون الوقاية إذا وصل الفعل بياء الضمير مثال: ما أحسنني عندك! و ما أظرفني في عينك وما أعلمني في ظنك! ونون الوقاية تدخل على الفعل لا على الاسم اعترضوا على ذلك بأن قالوا: نون الوقاية قد دخلت على الاسم في نحو (قَدْني، وقطني)[3] أي حسبي، ولا يدل ذلك على الفعلية ويعلق ابن الأنباري ي بأن ما اعترضوا عليه ليس بصحيح لأن (قَدْني، وقطني) من الشاذ الذي لا يعرج عليه، لحقت نون التوكيد صيغة التعجب وهذا دليل على كون هذه الصيغة فعلاً فقد جاء قول الشاعر:

ومستبدلٍ من بعد غضبى صُرَيْمَةً *** فأحرِ به من طول فقرٍ وأحرِيا[4]

فالأصل (وأَحْرِيَنْ) بنون التوكيد الخفيفة لكنها أبدلت ألفاً. ومن عمل النُّحاة وافتراضاتهم في مسألة التعجب، وضعهم شروطاً لصياغة فعل التعجب منها: أن

---

1 / انظر: المفصل للزمخشري، ص 277 معنى اللبيب 2 / 3 و محمد غالب عبد الرحمن وراق، 2003 م، مباحث في مشكلات النحو العربي وسبل علاجها مطبعة جامعة أفريقيا العلمية، ص.16

1 / انظر: الإنصاف 1 /126، مسالة (15) . المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ودار إحياء التراث العربي (د. ت)، وشرح المفصل، لابن يعيش (1041)، وحاشية الصبان 3 / 16 (بولاق)، وشرح الأشموني 4 / 167. ومغني اللبيب، لابن هشام، ص 682 وشرح الرضي على الكافية 2 / 285

2 / انظر: شرح المفصل، لابن يعيش 7 / 142، 152

3 / انظر: شرح ابن عقيل 2 / 148، وقيل هو من شواذ ثعلب.

يكون الفعل ثلاثياً، وقالوا ما ورد مصوغاً من غير الثُّلاثي فسماعي[1]. وقيل يجوز من (أفعل) فقط مثل: ما أعطاه للدراهم! وما أولاه للمعروف[2]وما اتقاه لله! وما أخصره! كما افترضوا أن يكون الفعل متصرفاً تصرفاً تاماً قبل دخوله في صيغة التعجب، فلا يكون التعجب من مثل: نِعْمَ، بِئْسَ، ليس، عسى واتهموا ما جاء على هذه الأفعال بالشذوذ مثال: ما أعساه! وأعْسِ به!.وقالوا بوجوب الفعل تاماً فلا يصاغ من الناقص مثل: كان وأخواتها، و كاد وأخواتها، فلا يجوز: ما أكون زيداً قائماً لأن ذلك يؤدي إلى أن ينصب الفعل (أفعل) شيئين، ولا يجوز حذف (قائماً) لامتناع حذف خبر كان، ولا جره باللام لامتناع جر الخبر باللام[3]، وقد أجازه الكوفيون بناء على أصلهم وهو أن المنصوب بعد (كان) حال وهذا يؤكد ما ذكرناه من الخلاف بين المذهبين وما قاد إليه من تأويل وتعدد في الآراء وتوجيه للقراءات وصرفها عما جاءت به. ومن الشروط: ألا يكون الفعل مبنياً للمجهول وقد أجازوا بناء صيغتي التعجب مما لازم البناء للمجهول مثل: ما أزهى الطاووس! وما أعناه بالعلم!. كذلك قالوا ما بُني للتعجب مباشرةً مما خالف الشروط فهو شاذ لا يقاس عليه، مثال: ما أخصره! من (أُخْتُصر) وهو فعل خماسي مبني للمجهول، وما أحمقه! الوصف منه على (أفعل)، أحمق، وما أعساه! وأعْسِ به! (فعل جامد) وكل ذلك أطلقوا عليه (شاذ مسموع) فإذا كان مسموعاً فلماذا لفظ شاذ؟! وما سلم من لفظ شاذ أطلق عليه لفظ تعجب سماعي وقالوا إنه لا يدل على التعجب بالوضع بل بالقرينة والسياق فيا للعجب! جعلوا الأصل شاذاً وسماعياً وهذا ما نرمي إليه وهو وصفٌ للظاهرة كما هي أي كما

4 / انظر: شرح التصريح 2 / 91. و الأشموني 3 / 21. عباس حسن، 1981م، النحو الوافي، ط 7، دار المعارف، 3 / 349.

5 / انظر: المفصل، للزمخشري، ص 276.

6 / انظر: الصبان، ص3 /22.

سمعت فينصرف عنها إلى ما يدل على التعجب بالوضع فلماذا الوضع؟! خاصة وأنَّ هذه الأساليب جاء بها القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[1]. وعبارة سبحان الله! ولله دره فارساً! عبارات نطقت بها العرب. كما وضعوا حكماً لتقديم معمول فعل التعجب وفصله[2] وقالوا لا يجوز تقديم معمول فعل التعجب عليه مثال: زيداً ما أحسنَ أو ما زيداً أحسنَ أو بزيدٍ أحسنْ. كما لا يجوز فصل معمول التعجب بأجنبي إلا بشبه الجملة واستشهدوا بقول عمرو ابن معد يكرب: للهِ دَرُّ بَني سُليم، ما أحسنَ في الهيجاءِ لقاءَها! وأكرمَ في اللزبات عطاءَها وأثبتَ في المكرمات بقاءَها[3] وقول علي- رضي الله عنه -: (أعْزِزْ عَليَّ أبا اليقظان أن أراك صريعاً مجدلاً)[4]. وقول العباس بن مرداس -رضي الله عنه-: وقال نبيُّ المسلمينَ تقدَّموا

* وأحببْ إلينا أن تكونَ المقدَّما[5]

وقال آخر:

خليليَّ ما أحْرى بذي اللُّب أنْ يُرى *** صبوراً ولكن لا سبيلَ إلى الصبرِ[6]

1 / سورة البقرة الآية (28).

2 / انظر: المفصل، للزمخشري، ص .277

3 / انظر: شرح ابن عقيل 2 / 157. اللزبات: الشدائد.

4 / انظر: المرجع السابق نفسه.

5 / انظر: المرجع السابق نفسه.

6 / انظر: المرجع السابق نفسه، ص 158.

المبحث الثَّالث

وجوه القراءات في الأفعال النَّاسخة (كان وأخواتها)

قضية (كان وأخواتها) متشعبة جداً في النَّحو، وفي القرآن؛ فقد جاء ذكرها في القرآن الكريم كثيراً

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُون ﴾[1]. قرأ المدنيان وابن كثير والبصريان برفع (عاقبة) وقرأ الباقون بالنصب[2]، يقول العكبري[3]: (يقرأ بالرفع والنصب، فمن رفع جعله اسم كان،... ومن نصب جعلها خبر كان. كان وأخواتها تسمى أفعالاً ناسخة لأنها تنسخ حكم الجملة الاسمية من رفع للمبتدأ ونصب للخبر، كما تسمى الأفعال الناقصة؛ لأن كل فعل منها يدلّ على حدث ناقص، أي على معنى مجرد ناقص؛ ولأن إسناده إلى مرفوعة لا يفيد الفائدة الأساسية المطلوبة من الجملة إلا بعد مجيء الاسم المنصوب، معنى هذا أن الاسم المنصوب هو الذي يحقق الفائدة مثال: كان زيدٌ قائماً[4]. يقول سيبويه: (وهذه الأفعال في تقديم خبرها على ضربين فالتي في أوائلها ما يتقدم خبرها على اسمها لا عليها وما عداها يتقدم خبرها على اسمها وعليها وقد خولف في (ليس) فجعل من الضرب الأول و الأول هو الصحيح)[5]. وقد شرح ابن يعيش كلام سيبويه بأن الأفعال الناسخة حكمها كحكم الأفعال

---

1 / سورة الروم الآية (10).

2 / انظر: النشر، لابن الجزري 2 / 344. والبحر المحيط 7، لابن حيان / 164. والإتحاف، للدمياطي 2 / 347.

3 / انظر: الإملاء، للعكبري 2 / 185.

4 / انظر: الكتاب لسيبويه 1 / 83 وما بعدها. والمفصل للزمخشري، ص 263، 276. وشرح المفصل، لابن يعيش 7 / 113، و شرح ابن عقيل 1 ص 243، 277

5 / انظر: الكتاب، 1 / 83 وما بعدها. وشرح المفصل 7 / 113.

الحقيقية من حيث إنّ الأفعال الحقيقية ترفع فاعلاً وتنصب مفعولاً فالأفعال الناسخة ترفع الاسم وتنصب الخبر ليصير المرفوع كالفاعل والمنصوب كالمفعول.

كما هو معلوم فالبصريون لا يجيزون تقديم معمول الخبر وقد أجازه الكوفيون وكذلك فيما كان أوله حرف نفي وهي: (ما زال، ما أنفك، ما فتئ، ما برح) فلا يقال قائماً ما زال زيدٌ، وقد أجاز ذلك الكوفيون فيقولون: قائماً ما زال زيدٌ، وأمّا (ليس) فقد أجاز سيبويه والمتقدمون من البصريين وجماعة من المتأخرين منهم السيرافي تقديم خبرها عليها واحتجوا لذلك بالنَّص والمعنى، أما النص فقوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ ﴾[1]، (يوم) معمول لخبر ليس، و(مصروفاً) متعلق به وبنوا على ذلك جواز تقديم الخبر نفسه، لأنه لا يتقدم المعمول إلا حيث يجوز أن يتقدم العامل[2]، وأما المعنى فإنه فعل في نفسه وإنما منع المضارع للاستغناء عنه بلفظ الماضي وهذا المعنى لا ينقص حكمها وصار مثال: يدع، ويذر، لما منعنا لفظ الماضي منهما استغناء عنه يترك لم ننقص من حكم عملها ومنهم من يمنع من تقديم خبرها عليها مع جواز تقديمه على اسمها وهو مذهب الكوفيين والمبرِّد من البصريين وقال السيرافي وأبو علي: (لا خلاف في تقديم الخبر على اسمها إنما الخلاف في تقديم الخبر عليها)[3]، إذا كان المعمول ظرفاً أو جاراً ومجروراً جاز أن يلي الفعل الناسخ مباشرة وذلك عند البصريين والكوفيين[4] مثاله: كان زيدٌ مقيماً عندك أو كان عندك زيدٌ مقيماً، الكوفيون يجيزون تقدم معمول الخبر وإن لم يكن شبه جملة،

1 / سورة هود الآية (8).

2 / انظر: شرح المفصل، لابن يعيش 7 / 114.

3 / انظر: شرح المفصل، لابن يعيش 7 / 114، والبحر المحيط 5 / 206.

4 / انظر: شرح ابن عقيل 1 / 258 وما بعدها.

والبصريون يجيزون تقدمه بعد الناسخ مباشرة ويؤولون ويقدرون ضمير الشأن محذوفاً، يقول ابن يعيش[1]: (وفصل سيبويه في تقديم الظرف وتأخيره بين اللغو منه والمستقر فاستحسن تقديمه إذا كان مستقراً نحو قولك: (ما كان فيها أحدُ خيراً منك) وتأخيره إذا كان لغواً نحو قولك: ما كان أحد خيراً منك فيها ثم قال وأهل الجفاء يقرؤون ﴿ ولم يكن كفؤاً له أحد ﴾[2]). من الملاحظ أنّ سيبويه يسمي الظرف الواقع خبراً: مُسْتَقَرَّاً وقد ذكر أنّ التقديم والتأخير والإلغاء والاستقرار عربيّ جيِّد وكثير، وفي قراءة أهل الجفاء، وهم الأعراب الذين لم يبالوا بخط المصحف أو لم يعلموا كيف هو ﴿ و لم يكن كفؤاً له أحد ﴾ حيث إنها غير مستقرَّة، قال ابن ميادة (من الرجز): لَتَقْرُبنّ قَرَباً جُلْذِيّا *** ما دامَ فيهنَّ فصيلٌ حَيَّاً[3]

والشَّاهد: (ما دام فيهن فصيل حيّاً) حيث تقدّم الجار والمجرور على الاسم المتعلق به وهو (حيّا). وذكر السيرافي في كان جملة (كان زيدٌ قائماً) وقال: الوجه أن ترفع (زيد)، وتنصب (قائم)؛ لأنها شيء واحد و (زيد) معرفة، و(قائم) نكرة وحدّ الكلام أن تخبر عمن يُعرف بما لا يُعرف لأنّ الفائدة في أحد الاسمين والآخر معروف ولا فائدة فيه، والذي فيه الفائدة هو الخبر فالأوْلى أن يجعل زيداً المعروف هو الاسم والنكرة هو الخبر وهذه تعليلات وافتراضات و تأويلات فقد جاءت شواهد شعرية على غير ما قال به النُّحاة فقالوا أنَّ ذلك جائز في الشعر وفي ضعف من الكلام)[4]. ومن الشواهد الشعرية قول خداش بن زهير (من الوافر):

---

5 / انظر: الكتاب لسيبويه، 1 / 83، وما بعدها.و شرح المفصل، لابن يعيش 7 / 114.

6 / سورة الإخلاص الآية (4).

7 / انظر: شرح المفصل، لابن يعيش 7 /114، خزانة الأدب 4 / 59، 9 / 272، 273، 274، القرب: السير في الليلة التي يصبح الماء صبيحتها، الجلذي: السير الشديد، الفصيل: ابن الناقة عندما ينفصل عن أمه.

1 / انظر: الكتاب 1 / 80.

فإنك لا تُبالي بعد حوْلٍ *** أَظَبْيٌ كان أُمَّك أم حِمارُ[1]

الشَّاهد: (أَظَبْيٌ كان أُمَّك) ظبي نكرة وهو اسم كان المحذوفة، أمُّك خبرها منصوب بالفتحة اسم كان ضمير مستتر جوازاً تقديره (هو)، نلاحظ أنهم افترضوا اسماً لكان حتى لا يجوزوا الاسم النكرة (ظبي) اسماً لها وقدروا أنَّ (كان) محذوفة بالرغم من وجودها، والدليل على مجيء اسم كان نكرة قول حسان بن ثابت – رضي الله عنه - (من الوافر): كأن سبيئةً من بيتِ رأسٍ *** يكونُ مِزاجَها عَسَلٌ وماءُ[2]

الشَّاهد: (مِزاجَها) خير مقدّم منصوب بالفتحة (عسلٌ) اسم يكون مرفوع مؤخر وهنا جاز مجيء اسم كان نكرة، كما جاءت قراءات كثيرة على هذا النحو: كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[3]، قرأ ابن عامر، وعاصم وعمرو بن عبيد، وزبيد بن علي وغيرهم (حجتُهم) بالرفع[4] على خلاف ما جاءت به الآية بالنصب (حُجَّتَهُمْ) وفي ذلك جواز للأمرين.

وقرأ الحسن[5] قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾[6]

---

2 / انظر: شرح المفصل 7 / 94 . خزانة الأدب 7 / 192.

3 / انظر: الكتاب، 1 88، و ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ص 71، دار صادر بيروت لبنان (د. ت).

4 / سورة الجاثية الآية (25).

5 / انظر: البحر المحيط 8 / 49 الإتحاف 3 / 35.

1 / انظر: البحر المحيط 4 /334.

2 / سورة الأعراف الآية (82).

(جوابُ) بالرفع وهذا دليل آخر. كما جاءت قراءة حمزة وحفص[1] لقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[2]

بنصب (البِرَ) وقرأ الباقون بالرفع[3]. يقول العكبري: (يقرأ برفع الراء فيكون (أنْ تُوَلُّوا) خبر ليس، وقوي ذلك لأن الأصل تقديم الفاعل على المفعول؛ ويقرأ بالنصب على أنّ البر خبر ليس، وأنْ تُولوا اسمها، وقوي ذلك عند من قرأ به لأن أن تولوا أعرف من البر، إذ كان كالمضمر في أنه لا يوصف، والبر يوصف، ومن هنا قويت القراءة بالنصب في قوله تعالى: ﴿ فما كان جواب قومه ﴾[4]، فسبحان الله! تقوى القراءة عندهم بما يأتون به من تعليلات ومن قياس وضعه النُّحاة ولا تقوى بسندها ونقلها وتواترها.

3 / انظر: النشر 2 /226. والإتحاف، ص 153. والبحر المحيط 2 / 2

4 / سورة البقرة الآية (177).

5 / انظر: النشر 2 / 226. والبحر المحيط 2 / 2 والإتحاف، 1 / 153..

6 / انظر: الإملاء، للعكبري 1 / 77.

الخاتمة:

إنَّ القرآن وقراءاته هما سببان في نشأة علم النّحـو، فسار علم القراءات وعلم النّحو جنباً إلى جنب يؤديان مهمة عظيمة، وهدفاً واحداً بأُسس مشتركة من سماع، ورواية، ونقل عن القبائل العربية ولهجاتها، ولكن بمرور الأيام توسعت الأسس لدى النُّحاة، واهتموا بالقياس وتشددوا فيه، وتعصبوا له، وتجاهلوا أمر وشأن بعض اللهجات التي نزل بها القرآن الكريم، بينما قام منهـج القُرَّاء واستمر على أساس الرواية المحكّمة، والسَّند المتصل، والتَّلقي والنَّقل فكان الاصطدام بين النّحو والقراءات، وعمل النُّحاة على تخطئة القراءات حتى السَّبعية التي اجتمعت الأمة على تواترها بما استوفته من شروط للقراءة.

من أثر تجاهل النُّحاة للّغات غير الشَّائعة التي جاءت بها بعض القراءات القرآنية في بعض الأفعال؛ اتهام القرّاء باللحن، و توجيه القراءات بحسب ما وضعوه من قياس، وتسمية تلك التي لم يأخذوا عنها باللغات الشاذة و تأويل القراءات التي خالفت قواعدهم ورموها بالشذوذ والخطأ مما أدى إلى الاضطراب وتعدد الآراء، والتأويل والتَّخريجات البعيدة الغارقة في الفلسفة والخيال .

اشتملت هذه الدِّراسة على ثلاثة مباحث جاء المبحث الأول بعنوان: إلحاق الفعل علامة التأنيث وعلامتي التثنية والجمع: تكلمت العرب بإثبات تاء التأنيث للفعل وبغيرها، كما أثبتت علامتي التثنية والجمع له، وقد جاءت قراءات تدلل على ذلك وقد أحصيت مواضع التأنيث والتذكير في القرآن فكانت مواضع تأنيث الفعل ستمائة وسبعة عشر موضعاً، ومواضع تذكير الفعل مئة وثلاثة وتسعون موضعاً، من تأنيث للفعل المجازي التأنيث، وتأنيث الفعل مع جمع التكسير المتصل والمنفصل وتأنيث الفعل مع جمع المؤنث واسم الجمع. وقد توصلت الدّراسة إلى أنّ في مسألة إفراد الفعل إذا كان فاعله مثنى أو جمعاً لغتين: اللغة المشهورة للعرب : أن يبقى الفعل مجرداً من علامتي التثنية، والجمع، ولو كان

فاعله مثنى أو مجموعاً كما لو كان مفرداً تماماً، مثال: قام الزيدان، قام الزيدون، قامتْ الهنداتُ، و لغة بعض القبائل العربية أمثال طيء وبني الحارث بن كعب و أزد شنوءة كانت تلحق الفعل، إذا كان فاعله ظاهراً مثنى أو جمعاً، علامة التثنية وعلامة الجمع فيقولون: قامَا أخواك، وقاموا إخوتك، وقمن نسوتك، وتعد علامات لا محل لها من الإعراب مشبهين لها بتاء التأنيث.

المبحث الثاني أسلوب التَّعجب: أنَّ قضية التَّعجب تعتمد على المعنى في كل جزيئات التعجب من صيغة الأمر أو فعل الماضي الذي يأتي في صورة الأمر ليفيد التعجب مروراً بحذف المتعجب منه وكون المفعول به هو فاعل في الأصل، كما أنه يحذف المتعجب منه من غير دليل وقد قيل عنه يأتي ذلك شذوذاً، فهذا تقدير وذاك تأويل وهذه لغات شاذة، فلو حصر النُّحاة عملهم في وصف ظاهرة التعجب واهتموا بما دلت عليه من معنى وقالوا هكذا (نطقت العرب) خاصة وأنَّ هناك شواهد دلت على هذه الصيغ؛ لاكتفوا بذلك ولكن بسبب عدم أخذهم من جميع القبائل فقد رموا لغاتها بالشذوذ، كما أدى عدم الأخذ بتلك اللغات من تلك القبائل إلى تعدد الآراء في مسألة التعجب وغيرها من المسائل النحوية.

المبحث الثالث وجوه القراءات في الأفعال الناسخة (كان وأخواتها): قضية (كان وأخواتها) متشعبة جداً في النَّحو، وفي القرآن؛ فقد جاء ذكرها في القرآن الكريم على ما يقارب قرابة ألف وخمسمائة موضعاً، فجاء خبر (كان) وما تصرف منها جملة فعلية فعلها مضارع كثيراً جداً، وكان ذلك في ثلاثمائة وسبعة وأربعين موضعاً، وجاء الخبر جاراً ومجروراً في ثلاثمائة وتسعة وعشرين موضعاً، وجاء الخبر ظرفاً في ثلاثة وعشرين موضعاً، كما جاء الخبر جملة فعلية فعلها ماضٍ في خمسة عشر موضعاً، اقترن (بقد) في موضع واحد، وجاء الخبر اسم فاعل في مئتين وواحد وثلاثين موضعاً، واسم مفعول في تسعة وعشرين موضعاً، ومصدراً في ثمانية وعشرين موضعاً، واسم تفضيل في اثنين وعشرين موضعاً . وجاءت (كان) تامة وناقصة وزائدة، كما جاءت (كان) محذوفة النون في مواضع عديدة.

أهمَّ المراجع والمصادر:

1 / القرآن الكريم.

2 / إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، لأحمد بن محمد البنا الدمياطي، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، نشر عالم الكتب، بيروت، ومكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1 1407هـ - 1987م.

3 / إعراب القرآن، للنحاس، تحقيق زهير غازي زاهد، عالم الكتب ومكتبة النهضة بيروت، ط 2، 1405هـ - 1985م.

4 / إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراء آت في جمع القرآن، لأبي البقاء بن الحسين بن عبد الله العكبري، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1 1399هـ - 1979م

5 / الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات عبد الرحمن الأنباري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، نشر المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1414هـ - 1993م،وطبعة المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ودار إحياء التراث العربي (د. ت).

6 / البحر المحيط، لأثير الدين أبي عبد الله بن حيّان الأندلسي، طبعة السعادة القاهرة 1328هـ.

7 / الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 5، 1417هـ - 1996م.

8 / حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، نشر دار الفكر، مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة، وطبعة بيروت، (د. ت).

9 / خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1409هـ - 1989م.

10 / دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لمحمد عبد الخالق عضيمة، ط1 دار السعادة (د. ت)، و ط دار الحديث، القاهرة، مصر 1392هـ - 1972م.

11 / ديوان أُمية بن أبي الصَّلت، جمعه بشير يمّوت، بيروت، ط1، 1934م

12/ ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، دار صادر بيروت، لبنان، (د. ت)

13 / ديوان ذي الرمة (غيلان بن عقبة)، شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي رواية الإمام أبي العباس ثعلب، حققه وقدم له عبد القدوس أبو صالح، ط1 مؤسسة الإيمان بيروت لبنان 1402هـ.

14/ ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1986م.

15 / شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، للقاضي بهاء الدين عبد الله بن عقيل، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الدار السودانية للكتب 1414هـ - 1993م، وطبعة المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1421هـ - 2000م.

16 / شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه (د. ت).

17 / شرح التصريح على التوضيح، لخالد الأزهري، دار الفكر، القاهرة (د. ت) و مطبعة مصطفى محمد، 1358هـ.

18 / شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تحقيق حسن الحفظي ويحي مصري إدارة الثقافة والنشر جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض، ط 1 1414هـ - 1993م.

19 / شرح المفصل، لموفق الدين ابن يعيش النحوي، عالم الكتب، بيروت لبنان، (د. ت).

20 / صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير،دمشق- بيروت، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 5، 1414هـ -1993م.

21 / الكتاب، لسيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1977م.

22 / الكتاب، لسيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق ايميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان 1420هـ - 1999م.

23 / الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، لجاد الله أبي القاسم الزمخشري، نشر الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ت).

24/ لسان العرب، لابن منظور أبو الفضل بن مكرم، دار صادر بيروت، لبنان 1388هـ - 1968م.

25/ اللباب في علل البناء و الإعراب، لأبي البقاء العكبري، تحقيق غازي طليمات، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث العربي، ط 1، 1416هـ - 1995م.
26 / مباحث في مشكلات النَّحو العربي وسبل علاجها، لمحمد غالب عبد الرحمن ورَّاق، مطبعة جامعة أفريقيا العلمية، 2003 م.
27/ مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها، لعبد الرحمن السيد، دار المعارف، مصر، ط 1، 1388هـ - 1968م.
28/ المزهر في علوم اللغة، للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، القاهرة، 1958م. وطبعة حلب.
29 / معاني القرآن، للأخفش الأوسط، تحقيق عيد الأمير محمد أمين، ط 1، 1405هـ - 1985م .
30 / معاني القرآن، للفرَّاء أبو زكريا يحي بن زياد، تحقيق أحمد نجاتي ومحمد علي النَّجار، نشر دار السرور، بيروت، لبنان، (د. ت).
31/ معاني القرآن وإعرابه، لأبي اسحق الزجاج، تحقيق عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1408هـ - 1988م.
32 / مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لأبي عبد الله بن هشام الأنصاري، تحقيق ممد محي الدين عبد الحميد، نشر المكتبة التجارية الكبرى، (د. ت)
33/ الموطأ، لمالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعارف، ط .530
34 / النَّحو الوافي، لعباس حسن، دار المعارف، ط 7، 1981م.
35 / النشر في القراءات العشر، للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الجزري، طبعة المكتبة التجارية الكبرى د. ت
36 / همع الهوامع، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار المعرفة بيروت، لبنان، (د. ت).